

اللسانيات المعرفية: الإيديولوجيا والتحليل النقدي للخطاب

ريني ديرفين، فرانك بولزنهاجن، هانز جورج وولف

**Cognitive Linguistics: Ideology and Critical Analysis of Speech
Rene Dervin, Frank Polzenhagen, Hans-Georg Wolfe**

ترجمة، د. امحمد الملاح جامعة القاضي عياض، المغرب

elmellakh_mhammed@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2019/06/14

تاريخ القبول: 2019/05/16

تاريخ الاستلام: 2019/05/12

ملخص: لقد تزايد الاهتمام بمسألة الإيديولوجيا والخطاب من لدن الدارسين المشتغلين داخل إطار اللسانيات المعرفية، وتسعى هذه الدراسة إلى تقديم مسح للإسهامات والنظرات المهمة التي يمكن للمنظور النظري لللسانيات المعرفية أن يفرزها، بغض النظر عن المناهج التحليلية التي يطبقها دارسو التحليل النقدي للخطاب، وتحاول هذه الدراسة النظر إلى العلاقة الجامعة بين اللسانيات المعرفية والتحليل النقدي للخطاب بشكل أكثر عمقا. وبالنظر إلى توافق اللسانيات المعرفية مع أعمال التحليل النقدي للخطاب، يروم هذا المسح للبحث في اللسانيات المعرفية للإيديولوجيا إلى تقوية صريحة وضمنية للاهتمامات المشتركة بين إطارَي البحث.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات المعرفية - تحليل الخطاب - الإيديولوجيا - الاستعارة التصورية:

Summary

the issue of ideology and discourse has received increasing attention from scholars working within the Cognitive Linguistics framework, and the aim of this paper is to survey the particular contributions and insights this theoretical perspective may yield beyond the analytic methods applied so far by CDA scholars, this study try to look inside the relationship between the two. Given the convergence with CDA work, this survey of cognitive linguistic ideology research intends to implicitly and explicitly strengthen the common interests of the two frameworks.

elmellakh_mhammed@yahoo.fr

الإيميل :

- المؤلف المرسل: د. امحمد الملاح

1 - مقدمة : الإيديولوجيا مجال بحثي كبير خارج اللسانيات المعرفية، منذ أواخر سبعينيات القرن العشرين غدت الدراسة اللسانية للإيديولوجيا والخطاب ميدانا خصبا للتحليل النقدي للخطاب، كما تمت العناية بتوثيق تطورات إطار البحث في هذا المجال في دراسة كالداس وكولدارد وكولدارد-Caldas Coulthard and Coulthard (1996)، وفي عمل تولانز Toolans (2002) ذي المجلدات الأربعة التي تغطي تحولات الجذور الفكرية في العلوم الاجتماعية مع أسلافها (باختين Bakhtin 1982، 1986 وبورديو Bourdieu 1991). وكذلك المقاربات النظرية المتنوعة للمؤسسين الرواد (فاولر Fowler وكريس Krees 1979، فيركلاف Fairclough 1989، 1992، 1995، فوداك Wodak 1989، وهودج وكريس Hodge and Krees 1993، وفان دايك Van Dijk 1993، 1997، 1998)، وعدد من الدراسات الأساسية، ويمكن متابعة تغطية شاملة للمجال في دراسة بلومارتوبولكان Blommaert and Bulcaen (2000) وبلومارت Blommaert (2005). يعد التحليل النقدي للخطاب برنامج بحث غير متجانس، وتجد المقاربة اللسانية النابعة منه جذورها في النحو الوظيفي، وتحديدًا في النحو الوظيفي النسقي كما طوره هاليداي Halliday (1985)، والذي أسهم بدوره في إحداث إسهامات دالة في المجال (هاليداي Halliday 1978)، ويعرف المشهد نقاشًا عميقًا حول البنية التخصصية (فوداك Wodak وشيلتون Chilton 2005)، وحول التعددية المنهجية والنظرية والانفتاح على اللسانيات المعرفية (شلتون Chilton 2005) وأوهالوران Ohalloran (2003). وبالنظر إلى تنوع و اتساع المجال، تم إدراج عنوان " اللسانيات النقدية " الذي تضمن مقاربات من قبيل اللسانيات النسوية واللسانيات البيئية.

ظلت تحظى ، منذ عقود خلت، مسألة الإيديولوجيا والخطاب باهتمام متزايد من لدن الدارسين المشتغلين داخل إطار اللسانيات المعرفية، وسنسى من خلال هذا الفصل إلى تقديم مسح للإسهامات والنظرات المهمة التي يمكن للمنظور النظري للسانيات المعرفية أن يفرزها، بغض النظر عن المناهج التحليلية التي يطبقها دارسو التحليل النقدي للخطاب، مستحضرين رصد دافيد وكوليات للعلاقة الجامعة بين اللسانيات المعرفية والتحليل النقدي للخطاب (ينظر ستوكويل Stockwell 1999). وبالنظر إلى توافق اللسانيات المعرفية مع أعمال التحليل النقدي للخطاب، يروم هذا المسح للبحث في اللسانيات المعرفية للإيديولوجيا إلى تقوية صريحة وضمنية للاهتمامات المشتركة بين إطاري البحث.

بادئ ذي بدء، لا مناص من استحضار بعض التوضيحات الاصطلاحية. لقد تم توظيف مصطلح "الخطاب" و"الإيدولوجيا" بطرق متنوعة، وداخل خلفيات نظرية متعددة. سنقيم تمييزا ميتودولوجيا في هذا الفصل بين فهم ضيق، وآخر واسع للمصطلحين، وسنضع جانبا المواقف النظرية المتنافسة. يحيل الخطاب إلى: ممارسات خطابية ضاربة العمق في التفاعلات الاجتماعية، مشكلة ممارسات اجتماعية واسعة المدى وفق الفهم الفوكوي.

يشير وفق الفهم الضيق إلى المواد النصية المنطوقة أو المكتوبة، مثل هذا الفصل أو هذا الكتاب. وتلامس كلتا المقاربتين (التحليل النقدي للخطاب واللسانيات المعرفية) المستويين المذكورين أعلاه للخطاب، بالرغم من كون التحليلات النصية المفصلة شكلت الخاصية المائزة للتحليل النقدي للخطاب. وبالمثل، يمكن التمييز بين فهمين للإيدولوجيا، أحدهما واسع، وثانيهما ضيق. يَعتَبَرُ المنظور الواسع الإيدولوجيا " نظاما من الأفكار" ليس بالمعنى الفلسفي أو السياسي، وإنما: " مجموعة المعايير أو القيم الصريحة أو الضمنية التي تتجسّد في أفعال وأنماط الحياة داخل شبكة اجتماعية محددة " (ديرفن 1990 : 568). ويمكن لدارسي التحليل النقدي للخطاب اعتبار المعايير اللاواعية الواسعة " قب-إيدولوجية" أو أرضية مشتركة" (ينظر : فان دايك 2002 ، وولف أو بولزنهاجن 2003 : 250)

وعلى العموم ينحو رواد التحليل النقدي للخطاب نحو فهم أكثر اختزالا للإيدولوجيا، حيث يعتبرونها "صيغة للسلطة"، وتحديد اعتبارها مواقف مقترنة بعلاقات الهيمنة الاجتماعية. وبالاحتكام إلى بورديو وفيركلاف تم التشديد على أن: " الإيدولوجيات تمثيلات لمظاهر من العالم، تسهم في تكريس أو تغيير أو تأسيس العلاقات الاجتماعية للسلطة من قبيل الهيمنة أو الاستغلال". وكما تمت الإشارة إلى ذلك سابقا، بشكل ضمني، تعد الإيدولوجيات الظاهرة من منظور اللسانيات المعرفية غير مفصولة عن الصياغات التصويرية المتواضع عليها، والتي تتقاسمها مجموعة اجتماعية معينة. بمعنى آخر يتشابك الفهم الضيق مع الفهم الواسع للإيدولوجيا بشكل كبير. ويشدد أحد الباحثين في الإيدولوجيا الرواد من منظور اللسانيات المعرفية على هذا الترابط، ويتعلق الأمر بلايكوف. ففي حوار مع بيير دي أوليفيرا، يقول: " للإيدولوجيا مظاهر واعية وأخرى لا واعية، إذا سألت أحدهم عن معتقداته السياسية سيعطيك لائحة من المعتقدات، ومن المحتمل أن يعطيك بعض التعميمات. عندما ينظر اللساني المعرفي فيما يقول، يمكن أن يستخرج أطرا واستعارات لا واعية [وكذلك وحدات تصويرية. بالإضافة من عندنا] كامنة خلف معتقداته الواعية، وهاهنا تكمن إحدى إسهامات اللسانيات المعرفية" (بيردي أوليفيرا 2001 ، ص 31)

تكمّن قوة اللسانيات المعرفية في قدرتها وسعيها إلى تحليل الإيديولوجيا في المستويين معاً. و يشترك المستويان في مصطلح المنظور. تقرن اللسانيات المعرفية " الإيديولوجيا في اللغة" بظواهر لسانية وتصورية مؤسّسة غالباً لمنظورات للعالم أو تهيء المتكلمين لامتلاك تلك المنظورات، وإن كان ذلك بشكل لاواع، سواء أكان ذلك وفق المعنى الواسع أم وفق المعنى الضيق للإيديولوجيا.

سيحدد الزوج: "الصياغة الواعية والصياغة اللاواعية للإيديولوجيا"، بنية هذا المقال، هذا فضلاً عن تمييزات في أدوات التحليل سنقترحها في حينه. لقد بقيت التحليلات الأولى في إطار اللسانيات المعرفية سحينة الإطار الضيق للبحث في الاستعارة الذي سطره عمل لايفوف وجونسون Lakoff and Johnson (1980)، لكن، بعد ذلك، وبالتدرّج تم تطوير أدوات تصورية أكثر قوة، حيث تم رصد الظواهر المشكّلة، بشكل محتمل، للمنظورات الإيديولوجية في مستويات مختلفة للوصف اللساني. وسنعرض في القسم الثاني للبعد الإيديولوجي للاستعارة، مع التشديد على الإيديولوجيا الخفية في مجال الخطاب الاقتصادي. وفي القسم الثالث سنطور مصطلحي " الإشارة الإيديولوجية " و " الأطر التصورية للإحالة" مع التركيز على الإيديولوجيا الظاهرة في الخطاب السياسي. وسيستكشف القسم الرابع الآليات النحوية التي تعكس المعايير اللاواعية المتحدّرة بعمق في المجموعة السوسيوثقافية. وفي الأخير، نناقش في القسم الخامس انتشار الاستعارة والدور الذي تضطلع به النماذج الثقافية في مجالات عالية التجريد مثل العلم، حيث نتناول الجوانب غير ذات المنحى الإيديولوجي الظاهر، من قبيل اللغة الواصفة في علم الأحياء والخطاب اللساني.

2- البحث التقليدي في اللسانيات المعرفية للاستعارة حول الإيديولوجيا: الخطاب الاقتصادي
نموذجاً. ثمّة تقليد ساد في البحث اللساني المعرفي حول الاستعارة، يتمثل في تركيزه الحصري على أداة من أدوات الصياغة التصورية، ويتعلق الأمر بالاستعارة. وقد طبقت هذه المقاربة على عدد من المجالات التي سنعرضها بشكل مختصر. من بين هذه المجالات المدروسة في اللسانيات المعرفية نذكر على سبيل التخصيص المجال الاقتصادي، وتحديد الاقتصاد في الخطاب الشعبي الغربي. وعموماً، وكما هو متوقع في سياق اقتصاد السوق الحر، يصاغ هذا المجال بواسطة استعارات من قبيل المنافسة والصراع، وكذلك الكراهية. فعلى سبيل المثال، أشار بويرس Boers (1997) من خلال تحليله لمتون افتتاحيات جريدة " الاقتصادي" إلى أن استعارات الصحة واللياقة الاقتصادية تلتقي مع استعارات السباق الاقتصادي، ويتم تصوير النشاط الاقتصادي باعتباره حرباً واقتتالاً في كثير من الأحيان، وقد تم تأكيد الملاحظات السالفة

في دراسة أوبانكس Eubanks (2000) وكولر Koller حول الاستعارات في خطاب المعاملات التجارية، وعلى غرار ذلك اشتغل وايت وهيريرا White and Herrera (2003) على نماذج استعارية للتغطية الصحفية لاندماج مقاولات شركات الاتصال، حيث وصف مزيجا من الاستعارات، من بينها استعارة: "المعاملة التجارية غابة"، حيث تعتبر الشركات مفترسة والمعاملة التجارية حرب واحتلال. يصاغ تصوريا في هذه الاستعارات التنافس بين الشركات باعتباره صراعا من أجل البقاء، وفي منطلق هذا السيناريو تعد الشركات كيانات عضوية في مكان لا يمكن التعايش فيه، ومحيط يستلزم صراعا محموما لتجنب الانقراض، إما أن تُقتل أو تُقتل. ولقد ركز كل من وايت وهيريرا (2003) على تحقيقات محددة لهذا السيناريو، تعتبر فيها الشركات عبارة عن دناصير في حديقة جيراسيك في زمن قديم. ويعبر المثال الموالي عن هذه الشبكة الاستعارية التحتية: "... لعقد من الزمن وأكثر ازادت شركات الاتصال ضخامة، واكتسحت أرض صيد، حيث لا وجود لمن يقوى على تحديها" (المثال مأخوذ من وايت وهيريرا 2003 : 291).

خلافا لاستعارة الديناصور المحكومة بغرائز عمياء وسلاسل السبب/ الأثر التي يعسر تجنبها، نلفي المجموعة الثانية من الاستعارات المثلة في استعارة "المعاملة التجارية حرب" واستعارة " المعاملة التجارية احتلال" تمنح أولوية للمظهر الاستراتيجي ونوايا الهيمنة. وعلى المنوال نفسه حلل كل من وولف وبولزيناغن Wolf and Polzenhagen (2003) الطبيعة الموضوعاتية لاستعارات من قبيل "التجارة حرب" و" المفاوضات الجارية معارك ". وفي توصيف تقل فيه حدة خاصية العراك تعتبر المفاوضات التجارية مسابقة، وذلك في الجرائد التي غطت السجال التجاري بين الولايات المتحدة واليابان. يمكن وصف الاستعمال الموضوعاتي للاستعارات المذكورة سابقا بالأرضية المشتركة والقب- إيديولوجية، مستعملين مصطلحات فان دايك (2002)، ليعكس هذا الاستعمال موقفا إيديولوجيا غير متعمد لمجموعة من المتكلمين (ينظر أيضا: وولف وبولزنهانغن 2003: 250). تعد هذه الاستعارات جزءا من مخزون من الصياغات التصورية مشتركا ومتحدرا بعمق، يتقاسمه الناطقون الغربيون بالإنجليزية أو بلغات أوروبية أخرى. ويعتبر مصطلح المنظور حاسما في فهم الوظيفة الإيديولوجية لهذه الاستعارات. إحدى الخصائص المحددة لجوهر الاستعارة، والتي ما فتئت تتكرر في مختلف نظريات الاستعارة، تتحدد في كون الاستعارة قائمة على تمثيل الميدان الهدف من خلال منظور معين. وهو ما يشير إليه مصطلح " المنظور" المعبر عنه بوضوح في عمل بلاك Black (1993) ومصطلح " منظور إليه باعتبار" في عمل

دافدن Davidson (1981) وكذلك من خلال مصطلح "الإبراز والإخفاء" في عمل "لايكوف وجونسون" (1980). وبشكل عام من خلال مصطلح "الإبراز" في لانكاكر Langacker (1987). تشتغل وظيفة "الإبراز والإخفاء" في الاستعارات المذكورة سابقا والمقترنة بمجال الاقتصاد، حيث تبرز مظاهر الداروينية الاجتماعية والعدوانية والهيمنة، كما تخفي من بين ما تخفيه الطبيعة النفعية للتجارة، والمسؤوليات الاجتماعية للشركاء الاقتصاديين. ووفق ما أبرزته التجربة التي أجراها بويزز Boers (1997)، يجعلنا استحضار مختلف الاستعارات في المشهد الاقتصادي ندرک الاقتصاد باعتباره مقالة تشاركية، كما لو أن الأمر متعلق بفريق رياضي (كوبو دي سيفيرينو Cubo De Severeno وإسرائيل وزونانا Zonana 2001)، بل يمكن لهذا الاستعمال الاستعاري أن يؤثر على سيرورة اتخاذ القرار لدى الشركاء الاقتصاديين بشكل متوافق مع الاستعارات المستعملة، فالمسألة ليست مجرد "أسلوب بلاغي" مرتبط بالمجال المستعمل فيه، إن الاستعارة مؤثر ل"أسلوب اقتصادي" (ينظر القسم الخامس من أجل تحليلات مماثلة). وإليكم مثال مقتبس من مقرر دراسي لمدرسة التسيير، يقترح علينا بدائل لاستعارات التنافسية المهيمنة في المجال الاقتصادي (ينظر: وولف وبولزنهاغن 2003 : 265):

الاستعارات التي نتبضع بها (نتسوق): السوق غابة، الزبناء أهداف، أصحاب السوق صيادون، المنتجات مصيدات، العروض طعم، البائعون ناصبو الطعم.

نحو استعارات تسوق جديدة: أصحاب السوق مزارعون، الزبناء نباتات، الوفاء بمثابة جذور، الفوائد حصاد، التسوق بذور، تغذية، جشع، عشبة ضارة.

تقترن الوظيفة الإبرازية والإخفائية للاستعارة بالفهم الواسع للخطاب في التحليل النقدي للخطاب، بمعنى أن الخطاب يُعرّف ويصف ويرسم حدود ما يمكن وما لا يمكن قوله (وبالمثل ما يمكن وما لا يمكن فعله)، حيث: "يصوغ مجموع الإثباتات الممكنة المرتبطة بمجال معين" (كريس Krees 1989 : 7، ينظر وولف وبولزنهاغن 2003 : 254).

بالإضافة إلى تحليل الإيديولوجيا في الخطاب الاقتصادي، تم كذلك إجراء تحليل للإيديولوجيا في إطار نظرية المزج، والاستعارة في مجالات اجتماعية شتى من قبيل السياسات الليبرالية والمحافظة في الولايات المتحدة الأمريكية (لايكوف 1996). وبناء الأمة في جنوب إفريقيا (ديرفين Dirven 1994) والحرب الدستورية الأمريكية حول الاتهامات (موركان Morgan 2001). والخطاب البرلماني البريطاني

(إليي Ilie 2001) والمجال المدرسي (أوربان Urban 1999) ومجال القانون (وينتر Winter 2001) والخطاب الإيديولوجي الخفي للأنترنت (روهرو Rohrер 2001) وهلم جرا.

3 - مسارات جديدة في بحث اللسانيات المعرفية حول الإيديولوجيا الظاهرة : البلاغة السياسية

نعرض في هذا القسم لأدوات تحليلية جديدة في اللسانيات المعرفية، ويتعلق الأمر بـ " الإشارات الإيديولوجية" و " الأطر التصويرية للإحالة". وسيتم التمثيل لكل مقارنة من المقاربتين المشار إليهما مصحوبة بأمثلة مستقاة من البلاغة السياسية.

يرتكز حديث المتكلم، كما أشار إلى ذلك لناكراكر Langacker (1991 : 499)، على سياق التلفظ، وبشكل أدنى يرتبط بمكان وزمن إحداثيات المتكلم في زمن التلفظ، وكذلك بالتزام المشاركين بالتعاون. لقد تم توسيع مفهوم الإشارة كي يتضمن وظيفة اجتماعية، وهكذا فمركز الإحالة لدى المتكلم لا يقترن بإحداثيات فيزيائية من قبيل التموضع في المكان أو في الزمان أو شركاء الخطاب فقط، ولكن يقترن أيضا بمواقف وإيديولوجيا ومعتقدات وقيم المتكلم المرسوة في عامله الثقافي، مثلما لاحظ ذلكهاوكينز Hawkins (1999). تعد الإيديولوجيا نظيرا للزمان وللمكان، لكونها ميدانا معرفيا يلعب دورا في سيرورة تشكيل معنى الإشارة. وذلك بمقتضى التصور الذي مفاده أنه في كل سيرورة إحالة يحرص المتكلم على توجيه انتباه المخاطب إلى مرجع معين. وهكذا تصير الإحالة الإيديولوجية بمثابة تقييم للأثر الذي يحدثه الفعل الإحالي، وموقف الجمهور السامع من المرجع، والكيفية التي تعمل بواسطتها الإحالة الإيديولوجية على تحديد الطريقة المثلى التي يتم بموجبها استثمار مختلف الأدوات التصويرية لبلوغ الأثر البلاغي المنشود إحداثه لدى جمهور معين. هكذا يسعى المتكلم في كل سيرورة إحالية إلى توجيه انتباه المخاطب نحو مرجع معين.

لقد بينت دراسة بوطا Botha (2001) الكيفية التي استعملت بها الإشارة الإيديولوجية من قبل زعماء جنوب إفريقيا الجدد لأغراض متعلقة ببناء الأمة، وبشكل خاص من طرف الرئيس مايبكي Mbeki. لقد حلل بوطا كيفيات استعمال هؤلاء الزعماء للإيجاءات الإيجابية لصور من نمط " الولادة الجديدة" و "قوس قزح" ذي الألوان المدهشة، لنحت توليفات جديدة من نمط النهضة الإفريقية و الأمة القزحية. وذلك من أجل نقل فكرة وإيديولوجيا أمة جنوب إفريقيا الجديدة، المندمجة والمتعددة الأعراق. فمن أجل التشديد على فكرة الوحدة القوية للأمة القزحية، استثمر مايبكي مرونة النقط المشكلة لمنظور التناول في شخص زعيم الأمة، ليربط ضمير المتكلم المفرد في عبارة " أنا إفريقي" ليس فقط

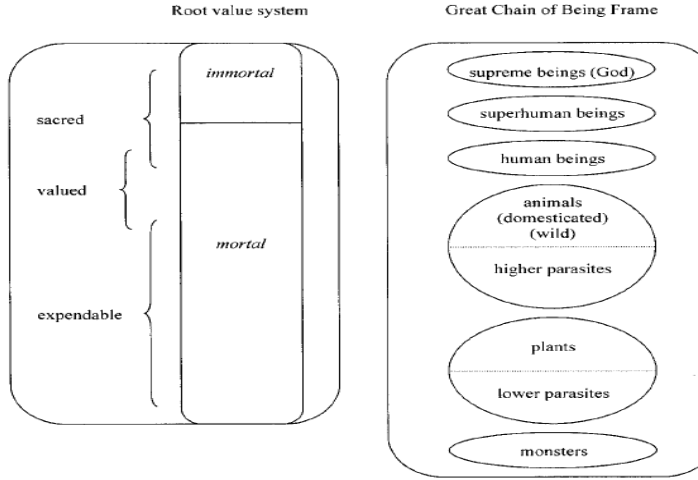
بإفريقيا قاطبة باعتبارها قارة، ولكن أيضا ببلده جنوب إفريقيا، بل بكل واحدة من المجموعات الإحدى عشرة المنظمة بشكل رسمي في شكل مجموعات عرقية ولغوية. فمن أجل التوحد مع كل المجموعات السالفة باعتباره زعيما، حرص ماييكي على إجراء انتقالات في النقط المشككة لزاوية التناول، متكلما باعتباره إفريقيا يظهر في كل مجموعة من المجموعات الوطنية (العرقية)، يقول : " إنني مدين لحووي سان التي ترفرف أرواحها المأسوف عليها فوق الامتداد العظيم للشاطئ الجميل، وتسري في عروقي دماء العبيد الملاويين القادمين من الشرق، إنني حفيد النساء والرجال المحاربين الذين أنجبتهم هنسالتا Hintsal وسيخوخون Sukhukhune". تملك كل مجموعة عرقية إيديولوجيتها الخاصة النابعة من تاريخها. وهكذا تُمكن تلك الانتقالات بين نقط منظورات التناول، والنقطليست سوى الإشارات الإيديولوجية، ماييكي من التوحد بكل مجموعة من المجموعات العرقية المذكورة التي يندمج من خلالها في الأمة القزحية وفي القارة الإفريقية برمتها.

وبخصوص المصطلح الثاني الحديث، ويتعلق الأمر بمصالح " الإحالة التصويرية" الذي تطور في عمل هاوكينز (2001)، والذي تم تطبيقه على الآلة الدعائية النازية في تمثيلها لليهود في صورة الطفيليات الدنيا خلال حكم الرايخ الثالث. وهنا تبين صورة " الطفيليات " كيف يتم بواسطة الإحالة التصويرية استثمار تجربة شركاء الخطاب ونظرتهم للمرجع بواسطة تمثيل تصويري قوي، يتعلق الأمر بوحدة دلالية مميعة. كما يتجلى من خلال أمثلة هاوكينز " الطفيليات " و" الشرير " و" الوحش "، أو من خلال استعمال ماييكي لعبارة " الأمة القزحية". وتعتبر الإحالة التصويرية سيرورة دينامية تتأسس على انتقاء صفة أو عنصر منتزع من إطار تصويري واسع للإحالة، ففي حالة الدعاية النازية المعادية لليهود، يمثل الإطار الإحالي نموذجا ثقافيا قديما متجدرا بعمق، يُعرفُ بسلسلة الكائن العظمى.

الصورة 1 . 4 صورة سلسلة الكائن العظمى (عن هاوكينز 2001 : 44):

اللسانيات المعرفية: الإيدولوجيا والتحليل النقدي للخطاب

ريني ديرفن، فرانك بولزنهاجن، هانز جورج وولف



ينظر بخصوص سلسلة الكائن العظمى: لوفيجوي Lovejoy 1936 وجذور هذا النموذج في الفكر الغربي. يتعلق الأمر، هنا ، بسلم منظم عموديا تنظم فيه الكائنات بشكل هرمي بواسطة مصطلحات ذات صبغة جمالية وأخلاقية وعقلانية (ينظر: لايفوف وتورنر Lakoff and Turner 1989، الفصل : 4). فالعناصر الأعلى في السلم تحظى بقيمة أعلى من العناصر السفلى. كما هو مبين في الصورة 1 . 4 تقترن الخطاطات التصويرية اقترانا تصوريا مباشرا بالنظام القيمي الأساس المتجذر في التجربة الإنسانية المركزية، أو " بالنظام القيمي الجذر " مستعملين مصطلح هاوكينز (2001).

يعمل إطار سلسلة الكائن العظمى باعتباره ميدانا مصدرا في مجموعة من السيرورات الاستعارية، وبشكل دال في لغة القمع، فباعتبارها سلسلة للهيمنة، يمكن استعمالها، أيضا، بيسر باعتبارها سلسلة للإخضاع. تتم الإحالة على هذا الإطار وعلى متعلقات نظامه القيمي عندما توسم أعضاء جماعة عرقية أو اجتماعية أو مجموعات دينية تصوريا كصور دنيا للحياة (حيوانات، وحوش، طفيليات). وهكذا ففي الاستغلال النازي لنموذج السلسلة العظمى، يحتل الجنس الآري مجال الإنسان الأسمى، بينما يوضع الجنس اليهودي في أدنى مجال ممكن (في الهرمية) أدنى من النباتات. وبالموازاة تستلزم هذه الإحالة التصويرية وجود نقص في الإنتاجية وعيشا على موارد أجناس أخرى. على خطى تحليل هاوكينز Hawkins تتبع سانتا Santa Anaú (2003 : 208) آثار الآلية نفسها في الخطاب المعادي للاتينيين في الولايات المتحدة.

يمكن كذلك إعادة قراءة تحليل لايكوف (1992) للاستعارات في البلاغة الأمريكية خلال حرب الخليج الأولى بدلالة مفهوم الأطر التصويرية للإحالة. يمنح مفهوم الإحالة التصويرية، بيسر، لدى هاوكينز إمكانية احتواء عناصر الثنائيات المتضادة. وبشكل مماثل أثار لايكوف (1992 : 466) إطار الحكاية الخرافية المتضمنة لبطل وشرير وضحية، محددًا سيناريوهين محققين لهذا الإطار استعمالًا في تبرير الحرب :

السيناريو الأول هو سيناريو الدفاع عن النفس، يمثل فيه العراق دور الشرير، وتمثل الولايات المتحدة دور البطل، وتمثل الولايات المتحدة وبقية الأمم المتحضرة دور الضحايا، والجريمة تهديد بالقتل.

سيناريو الإنقاذ: يمثل العراق فيه دور الشرير وتجسد الولايات المتحدة دور البطل والكويت دور الضحية، والجريمة عبارة عن خطف و اغتصاب. ولقد تبين أن السيناريو الأول أقل جاذبية بالنسبة إلى الشعب الأمريكي، بينما تم دعم وتبني السيناريو الثاني. ومن اللافت للنظر إعلان جورج بوش للانتصار قبل عقد اجتماع الكونغرس، وذلك بقوله: " لقد صار التحدي الراهن أكثر وضوحًا: إن صدام حسين شرير والكويت ضحية". وهكذا تأسست مجموعة من الاستعارات الموظفة في بلاغة الحرب الأمريكية على الخليج على الاحتكام إلى إطار الحكاية الخرافية.

انتقد عدد من الكتاب مقارنة لايكوف، بالنظر إلى منهجية جمعه للمعطيات التي لم تكن مؤسسة على المتون، لكنها كانت انطباعية المنزع. ولقد كان بانكاك Pancake من أوائل المستعملين لحجة المتون الواقعية، مقدما تحاليل إضافية لاستعمال الاستعارة في سياقها. وبالاستناد إلى لايكوف (1992) انطلق روهر Rohrer (1995) من متون شفوية، مقدما تحاليلًا لخطابات بوش خلال حرب الخليج. وبالمثل حلل سانديكسيوكلو Sandiskcioglu (2000، 2000) تقارير الأخبار الأمريكية في مجالات : "التائم" و "النيوزويك"، ليضع تغطية أخبار حرب الخليج في إطار متناقضة " نحن وهم " (النموذج الغربي والنموذج الشرقي)، داخل هذا الإطار يصوغ الغرب صورة عن ذاته باعتباره متحضرا وقويا وناضجا وعقلانيا وثابتا، خلافا للشرق المتوحش والضعيف والمفتقد للنضج واللاعقلاني وغير المستقر. وتمتلك هذه الصياغات التصويرية الاستشراقية استنتاجات بعيدة المدى، حيث تقدم ثنائية " نحن " و " هم " باعتبارها ثنائية متنافرة مبنية على لاتناظر أخلاقي موسوم، حيث يتعذر الثقة في الآخر غير الناضج واللاعقلاني، مثلما يتعذر التفاوض معه. ولا يمكن إلا أن يلقن درسًا بواسطة الحرب، مستعملين عبارات منتزعة من معطيات متون حرب الخليج الواردة في سانديكسيوغلو (2001 : 176).

4 - الإيدولوجيا المضمرة للاستلاب والميز الجنسي في النحو.

باعتبار النحو نظاما إجرائيا عالي التجريد وغير واع، فهو بالتعريف لا يمكنه إلا أن يتضمن إيدولوجيا مضمرة. يسري ذلك على الأقل بالنسبة إلى مجالات النحو التي لا تعرف تنوعا، وبالتالي لا مجال ممكن للاختيار. لكن متى كان التنوع ممكنا، يكون الاختيار الممنوح بواسطة البدائل مَعْبَرًا نحو الإيدولوجيا الظاهرة. إنه مجال اختصاص الأسلوبيات. لذلك لا نستغرب إن كان التحليل النقدي للخطاب وخلفيته المعرفية الوظيفية قد بحث بشكل مستفيض ذلك التنوع المقرون بالإيدولوجيا. ومن بين الموضوعات البارزة في التحليل نجد الأدوات النحوية الدالة على إخفاء المنفذ في البناء للمجهول أو في التأسيم (ينظر سيمسون Simpson 1993، الفصل 4)، حيث يتم ترميز منظورات إيدولوجية معينة. ومن منظور اللسانيات المعرفية يمكن أن نذهب أبعد من ذلك، ونزعم أن الإيدولوجيا تقبل التسرب في أي مجال من مجالات الصياغة التصورية النحوية، بل حتى في تلك الأكثر تجريدا. لقد سبق لنا سالفًا أن أشرنا إلى مثال في مناقشة بوطا للإشارة الإيدولوجية في بداية القسم 3. وفي هذا القسم سنركز على مثالين إضافيين، نستقي أولهما من مجال الزمن (كراندي ويانغ Grundy and jiang 2001). وثانيهما من مجال الزيادات التصريفية (نيسيت Nessel 2000). يمثل تحليل كراندي ويانغ (2001) للرابط بين البناءات النحوية والنماذج الإيدولوجية التحتية في إطار خلفية سوسيوثقافية معينة، ليشكل بذلك تحليلهما، رابطا مع مصطلح النماذج الثقافية (ينظر ديرفن وولف وبولزنهاجن في هذا المجلد: الفصل 46). كما كانت دراسة نيسيت (2001) إسهاما دالا للسانيات المعرفية في مجال النقد النسوي للنوع في اللغة.

حلل غرانديويانغ (2001) بعض السمات الخاصة في إنجليزية الهونغ كونغ، وبشكل خاص الاستعمال غير العربي للماضي المجرد. يناقش غراندي ويانغ في إطار نظرية النماذج الذهنية (فوكونيني Fauconnier 1997) تمثيل العبارات " المنحرفة " التي نجدها في الرسائل الموجهة للعموم في الهونغ كونغ من قبيل العبارة " 3 " المتضمنة للماضي المكتمل بدل صيغة الحاضر المكتمل:

(3) كانت قد غادرت آخر حافلة

ففي صيغة الحاضر المكتمل " لقد غادرت آخر حافلة"، يكون حاضر القارئ الزمن الإحالي الذي ينظر من خلاله إلى الحدث (مغادرة الحافلة)، بينما تجر صيغة الماضي المكتمل القارئ للعبارة (3) على موضوعة الحدث بالنظر إلى فضاء منظوري ماضي، إلا أن الفضاء المشكل لنقطة النظر الماضية يبقى غير

محدد بشكل كامل، ولا توجد أية مواد (لغوية) متاحة أو مستنتجة تمكن من تأويله، ويتعذر على القارئ الاهتداء إلى الزمن الإحالي. لنلاحظ كيف أن الاستعمال غير المنحرف للماضي المكتمل من قبيل العبارة (4): عندما وصلنا كانت قد غادرت آخر حافلة

يتضمن موادا لغوية (في هذا السياق : عندما وصلنا) تمكن القارئ من الاهتداء إلى الزمن الإحالي الماضي، وتمنحه محتويات الفضاء المنطوري، منشأ الأساس الذي تستند إليه الصورة موضع التبئير في العبارة (مغادرة الحافلة). لقد لاحظ غراندي ويانغ (2001 : 122) أن العبارة (3) تقدم حدث مغادرة الحافلة ونشر الرسالة كحدثين متميزين، حيث تخفي الشخص الذي صدرت عنه الرسالة، والذي كان من الممكن إن كان ظاهرا أن يرفض مسؤوليته عن النتائج السلبية للحدث الذي ينقله. ويزعم غراندي ويانغ أن استراتيجية " إخفاء الذات" تعبير عن الكيفية التي يمكن أن أسلكها حتى أجنب "أي لوم يمكن أن يلحق بي"، وتمثل هذه العقلية عنصرا محايثا لإيديولوجيا الهونغ كونغ. وفي سياق أوسع، تدور كل النقاشات في المركز الحكومي في الهونغ كونغ حول اتخاذ القرار بخصوص من يمكن أن يوجه اللوم إليه من عدمه في كل المواقف التي تطفو على السطح. من الأمثلة ذات الصلة بالموضوع، النقاش الدائر حول انتشار الأمراض التنفسية، فحصيلة عمل اللجنة الموضوعة من أجل فحص تدبير الحكومة للأزمة لخصتها عبارة واردا في صحيفة. تقول العبارة: " وُجِدَت أخطاء، لا لوم على أحد". ويزعم غراندي ويانغ (2001) أن السبب العميق لإيديولوجية " لا لوم علي" من المحتمل أن يكون كامنا في الوضعية التاريخية والسياسية لمستعمرة العرش البريطاني، وصلته الحالية بشعب الجمهورية الصينية. فبالرغم من كون مواطني الهونغ كونغ يتمتعون بالامتيازات الاقتصادية وبالحرية المحلية، غير أنهم يذكرون باستمرار أنهم لا يتحملون مسؤولية البنية السياسية التي يشكلون جزءا منها مثلما لا يتحملون قراراتها تجاههم.

ففي مناخ استلابي من هذا القبيل، يحمي الأفراد أنفسهم من مغبة اتخاذ القرار في سياق ليسوا فيه بصانعي القرار.

من بين المجالات النحوية الأكثر تجريدا نجد نظام الزيادات التصريفية. ففي سياق اشتغاله على الروسية بحث نيسيت (2001) الفئة الثانية، أو ما يسمى بالفئة التصريفية " a " بالنسبة إلى الأسماء التي تتضمن صيغة قصيرة من أسماء الأعلام والأسماء المشتركة المذكورة والأسماء المحيلة على الأنثى. تعتبر الصيغة القصيرة من أسماء معينة تحقيقا لخطاطة المؤلفية: " وذلك بالنسبة إلى الأشخاص الذين يتميزون عن عموم الناس بحكم صلتهم الحميمة بالمتكلم" (نيسيت 2001 : 214). والمثال الذي يمكن إيرادها هنا هو التقابل

dima /dimitrij ، فالأسماء المشتركة المذكورة في الفئة التصريفية " a " تملك خطاطة مضادة للسابقة (خطاطة الهامشية)، والتي تتضمن سلما تقويميا يغيب في حالة الفئات التصريفية المذكورة الخالية من الزيادة " a "، تتضمن هذه الفئة التصريفية الأشخاص : " الذين يتميزون عن العموم لتموضعهم في آخر نقطة في السلم " (نيسيت 2001 : 214). ومن أمثلة الأطراف القصوى من السلم نذكر " voevoda " قائد الحربية في روسيا العصور الوسطى " و sluga " العبد " تتقاسم كل من المقولتين الفرعيتين المكون الدلالي نفسه أي: " الأشخاص الذين يتميزون عن الجماعة" والذي يمثل خطاطة غير طرازية عامة تتحقق بواسطة الخطاطتين الأكثر تحديدا.

يرى نيسيت أن النظام النحوي الروسي يصوغ تصوريا مقولة " الرجال " باعتبارها كثرة وهي الحالة غير الموسومة، بينما تحتاج الإحالة على النساء إلى تخصيصات إضافية محددة للجنس (ينظر هوارد Howard 2001)، ويشير إلى أن الكثرة لا ينبغي فهمها بشكل عددي ولكن بالمعنى التمثيلي لما هو عادي أو غير موسوم في المجتمع. وهكذا من البدهي أن المقولات الفرعية الثلاثة تمثل مقولة مُعرّفة بشكل جيد، بما أهما تحقيق للخطاطة اللاترازية العامة (نيسيت 2001 : 218 - 271). يقترح نيسيت فكرة تعالق المقولات الفرعية للفئة التصريفية " a " بشكل متقارب. أولا، يُشرك المقولة الفرعية للأنتى بنظيرتها الأسماء المشتركة غير المؤنثة بسلمها التقويمي والقطبي ذاته. وبلوغ هذا المسعى، يستند نيسيت إلى فكرة سيمون دوبوفوار Simone de beauvoir عن مقولة المرأة المقترنة لديها بالصفات "القصوى" والتي يتم تكثيفها في استعارات تُقرُن— أو كنيات، بما أن هذه الصفات في النموذج الثقافي المحايث سمات ملازمة للمقولة — الخطيئة والرذيلة والفضيلة بالمرأة. وثانيا، يرى نيسيت أنه توجد علاقة بين المقولة الفرعية المقترنة بالأنتى وتلك المرتبطة بالصور المختصرة لأسماء معينة (والتي قلنا عنها سابقا إنها بمثابة تحقيق لخطاطة المؤلفية)، لتكون بذلك الفئة التصريفية " a " متسقة داخليا بشكل كامل. وتطبيقه ل " مبدأ ميدان التجربة" لدى لايكوف (1987 : 93) الذي يقضي أنه : " إذا كان مجال أساسي للتجربة مقترن ب " أ " فمّن الطبيعي بالنسبة إلى الكيانات المنتمية لهذا المجال أن تكون في المقولة نفسها موسومة ب " أ " " واعتبر نيسيت أن كلتا المقولتين الفرعيتين تنتميان إلى " المحور الخاص"، ويشكل المنزل والعلاقات التي نسجها مع العائلة والأصدقاء المجال الخاص للتجربة، بينما تمثل البنيات الاجتماعية بمعناها الواسع المجال العمومي للتجربة. وبذلك اعتبر نيسيت أن المعتقد الذي يقضي بكون " المنزل هو المكان الخاص بالمرأة " يستنتج ويوطد بالصياغة المقولية النحوية التي تنطبق باطراد على أي ورود للمقولة المذكورة آنفا. وبالتالي لا

مجال لإيقاف التحيز الجنسي المنصوص عليه في النظام التصريفي للغة الروسية. ويصل نيسيت (2001 : 224) إلى نتيجة مفادها : " يمكن لإيديولوجيا التحيز الجنسي أن تكون متجذرة بعمق في نحو لغة، ما نفعم الطبقات التصريفية التي تعتبر منالمجالات التيُنظر إليها عادة باعتبارها خاليا من أية بنية دلالية". هكذا، يبرهن تحليل نيسيت على القوة الوصفية والتفسيرية للسانيات المعرفية، وقدرتها على استكشاف الإيديولوجيات المتخفية في المقولات النحوية.

5- الإيديولوجيا في مجال الخطاب العلمي:

لا يقتصر حضور الإيديولوجيا على النحو باعتباره المجال الأكثر تجريدا في اللغة، وإنما يشمل أنماط الخطاب الأشد تجريدا، ويتعلق الأمر بالخطاب العلمي، وذلك بواسطة الاستعارة التصورية. لطالما تمت الإشارة إلى دور الإيديولوجيا في الكتابة والتفكير العلميين، وتم تقييم هذا الدور بطرق متنوعة. تزعم إحدى الطروحات السائدة أن الإيديولوجيا نافلة في الكتابة العلمية، ففي أحسن الأحوال يمكن للاستعارة أن تكون توضيحية، وهي في أسوء الأحوال مخادعة وبالتالي ينبغي تجنبها. ومن البدهي أن هذا الموقف يتعالق مع الطرح الذي يزعم أن ما يمكن التعبير عنه استعاريا يمكن التعبير عنه أيضا حرفيا. وعلى العكس من ذلك نجد طرحا مغايرا يزعم أن للاستعارة دورا تكوينيا في النظريات العلمية. ويقترن هذا الطرح بالمنظور الذي يزعم أن الصياغة التصورية لدى الإنسان استعارية بشكل واسع. لقد قدم جاكل Jakel (1997 : الفصل 8) تحليلا لسانيا معرفيا لما يسميه ب" سيناريوهات العلم"، يتعلق الأمر بنماذج مختلفة لنظريات علمية لرواد من الفلاسفة الغربيين، محددًا استعاراتهم التصورية المهيمنة في نظرياتهم، الأهم، أنه قد تنبه إلى أن نقد النظريات العلمية المتنافسة موجه في الغالب نحو نقد النموذج الاستعاري للنظرية موضوع النقد. فالتحولات البردايمية في العلم، عموما، تسير جنبا إلى جنب مع رفض استعارات وإدراج أخرى جديدة محلها. وأخيرا نجد طرحا معتدلا وسطا بين الطرحين المقدمين أعلاه عن الاستعارة باعتبارها إما نافلة أو تكوينية، يعتبر ذلك الطرح المعتدل الاستعارة أداة ذات مردودية استكشافية محدودة الحيز. وما يعتبر دالا، أن الحقول المعرفية في العلوم تتبادل الاستعمال بين بعضها البعض، فيستعمل بعضها باعتبارها ميدانا مصدرا في الصياغات الاستعارية من أجل البعض الآخرالذي يستعمل باعتباره ميدانا هدفا. ومثال ذلك ما أورده المؤلف الجماعي ل" نومان وبلانك هوفباور Nauman and Plank and Hofbauer 1992 " بخصوص التعالق بين اللسانيات والجيولوجيا في القرنين التاسع عشر والعشرين. والمثال الآخر الكتاب الجماعي لماسين وميندلسن ووينغارت Maasen and Mendelsohn and

Weingart (1995) (الحامل لعنوان دال: "علم الأحياء باعتباره مجتمعا والمجتمع باعتباره علم أحياء" يُناقش فيه مسألة استعمال علم الأحياء والعلوم الاجتماعية لحقولهما العلمية كاستعارات عابرة بين المجالين. والمثال الأبرز للتناسب بين المجالات يتمثل في التناسب بين علم الأحياء والعلوم الاجتماعية مع التيار الدارويني في مختلف صياغاته (ينظر: وينغارت 1995 Weingart للمناقشة). وفي المقابل استلهم علماء الأحياء نماذج العلوم الاجتماعية (ينظر: بولر 1995 Bowler بخصوص الداروينية الاجتماعية).

وفيما يلي نقدم مثالا خاصا للإحالة المتبادلة بين علم الأحياء واللسانيات على مجالات بعضها البعض، ويتعلق الأمر باستعارة " الحياة لغة" في علم الأحياء ومقابلتها " اللغة نظام عضوي " في اللسانيات. تقترن الاستعارة الأولى بالأنموذج المؤسس للمقاربة البيوسيميائية الراهنة في علم الأحياء والتي تُطور منظورا سيميائيا حقيقيا لعلم الأحياء (ينظر: سيوك Sebeok، هوفمير Hoffmeyer، إيميش Emmeche 1999 من أجل عرض شامل). من بين المدافعين عن هذه المقاربة نجد إيميتشوهوفمير (1991)، حيث ناقشا أبرز الاستعارات اللسانية في علم الأحياء، مقدمين بشكل خاص عرضا حول تاريخ وتطبيق الصياغة التصورية " الحياة لغة" في مختلف صيغها. إحدى التمثهات المبكرة لهذه الاستعارة نعر عليها في الاستعارة اللاهوتية " الطبيعة كتاب عظيم" ذات التاريخ التليد بمقدار قديم علم اللاهوت نفسه، وقد عرفت الفكرة التي تقول إنه بإمكان المرء أن يقرأ في الطبيعة القدرة الأزلية وألوهية الخالق القدير أوجها في العصور الوسطى المتأخرة. وفي تمظهراتها الحديثة، تندرج هذه الاستعارة من استعارة " الحياة باعتبارها نظام ذاكرة" واستعارة " الحياة باعتبارها تعلما" إلى استعارة " الأنظمة العضوية باعتبارها أنظمة معالجة للمعلومات". ولقد رصد كل من إمشوهوفمير حضور هذه الاستعارات في مختلف نظريات التطور وعلم الأحياء الجزئي. وقدما مناقشة نقدية مفصلة للتناظرات المعروفة أعلاه بين الكائنات الحية والنموذج السوسيري للغة. وهنا يفترض أن المماثلات حاصلة بين اللسان والنمط الوراثي، وبين الكلام والنمط الظاهر، وبين الكلمات الجديدة والطفرات الجديدة، وبين التواصل اللساني والتواصل الجيني، وبين الدال وشريط الحمض النووي، وبين المورفيم والمورث. ولقد بين إمشوهوفمير (1991) محاسن وحدود مثل هذه التناسبات الخاصة. فعلى سبيل المثال، إذا ماثلنا المورث بالمورفيم باعتباره أصغر وحدة حاملة للمعنى، فإننا نحقق حتما في رصد الطبيعة الجوهرية للمورث وليس طبيعته المجردة، كما يفلت منا المعطى الذي مفاده أن المورث لا يصير ذا معنى حقيقي إلا في سيرورة سياقه الكيميائي الحيوي. فمن غير هذه

الآلية التأويلية المناسبة، لا يعدو أن يكون مجرد شريط داخل الحمض النووي. يدافع إيمشوهوفمير عن المنظور البيروسي وليس المنظور السوسيري للغة في ظل المقاربة السيميواحيائية التي يتبناها، وذلك لقيام منظور بيرس على عنصر المؤول. وبذلك يصير المورث بشكل مماثل للعلامة عند بيرس علامة ثلاثية. ينظر الصورة 2 . 4

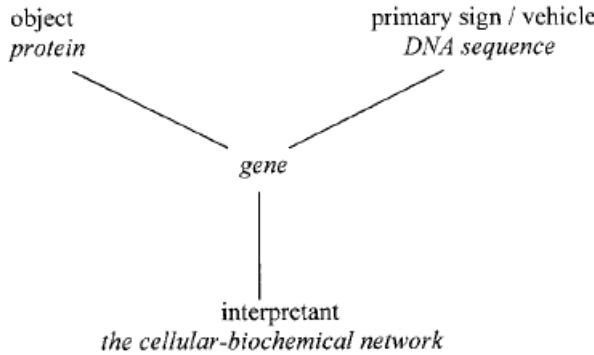


Figure 47.2. The sign relation of the gene

وتبين حجج هوفمير وإيمش أنه عندما نطبق بشكل غير خاضع للنقد مسألة نقل نماذج كاملة تشكلت خارج المجال المنقولة إليه، تكون المسألة محفوفة بالمخاطر من قبيل إنتاج منظورات أحادية أو منظورات غير متوافقة مع المجال المعرفي الهدف.

وتصير المسألة حاسمة عندما يُستعمل الخطاب العلمي ويُحال عليه في محفل جمهور غير متخصص. ومن الدراسات الدالة في هذا السياق دراسة لنرليش ودينكوval وNerlich and Dingwall (2003) الذي فحص بلاغة الخطاب في غضون الإعلان عن فك شفرة الجينوم البشري في جوان 2000 ، حيث قدما تحليلا نقديا للاستعارات الموظفة من لدن الزعماء السياسيين (كلنتون وبلير)، ومن لدن العلماء والإعلام. ولقد كانت "استعارة الحمض النووي شفرة" أكثر شيوعا باعتبارها الاستعارة المتواضع عليها في علم الوراثة. وعلى غرار إيمشوهوفمير، أشار نرليش ودينغوval إلى حدود هذه الصياغة التصورية. ذلك أن الاستعارة المقترحة تقوم على حتمية وراثية غير ذات أساس لأن الكائن الحي لا يمكن اختزاله في حمضه النووي، ففي واقع الحال تقتضي السيرورة الوراثة عددا من المكونات الأخرى،

وبالتالي تكون حساسة للسياق. ولقد أشار نرلش ودنغوال (2003 : 403) إلى أن استعارة الشفرة تعكس في حد ذاتها نموذجاً احتزالياً ومتجاوزاً للتواصل الإنساني، وأن الخطاب حول علم الوراثة قد أبقى على مماثلات لسانية تعود إلى ستينيات القرن العشرين. تثير استعارة الشفرة بشكل خاص إيدولوجيا التحكم، حيث يمكن ببساطة إزالة المورثات غير الصالحة، وبالتالي إعادة برمجة الشفرة الوراثية بيسر. فضلاً عن المشاكل الأخلاقية المقترنة بهذا التصور، فهو يحمل في طياته صورة مغلوطة عن السيرورات الوراثية ومضللة بالنسبة إلى غير المتخصصين في المجال. ويزعم نرلش ودنغوال أن العلوم المعرفية الحديثة والنماذج السياقية للغة يمكن أن تفرز قياسات ومماثلات مناسبة بشكل أفضل.

لاستعارة " الحياة لغة " في علم الأحياء مقابلها في اللسانيات، إنها استعارة " اللغة نظام عضوي " ذات التقليد العريق في الخطاب اللساني. وتأثيرها بادئ ذي بدء ظاهر للعيان في الاصطلاح اللساني المكرس في وقتنا الراهن من قبيل الاستعارات التالية: المجموعات النغمية ذات رأس وجسد وذيل، وفي الصرافة يجري الحديث عن الجذوع والجذور، والبنيات المركبية عبارة عن أشجار، ولغات الكريول لها دورة الحياة، وفي السوسيولسانيات يتم الحديث بشكل متفق عليه عن موت وحياة اللغة، والأمثلة المقدمة هنا غيض من فيض. ولقد تطورت استعارة " اللغة نظام عضوي " باعتبارها نموذجاً مكتملاً للغة في التقليد الرومانسي للقرن التاسع عشر جنباً إلى جنب مع نظرية التطور الصاعدة آنذاك (ينظر: كوشرشيك Kucharczik 1998). وكما لاحظ هوغنHaugen (1972 : 326)، وكما كان محقاً في ملاحظته، أنه تم رفض النموذج الأحيائي في النظرية اللسانية للقرن العشرين واستبدل باستعارات مغايرة، وتحديدًا استعارة " اللغة أداة " (مع صعود مدرسة براغ الوظيفية) واستعارة " اللغة بنية " (مع البنيوية البلومفيلدية)، غير أن النموذج الأحيائي واستعاراته حوفظ عليه بدرجات مختلفة في النظريات اللسانية المرتبطة بالتقليد الهومبولتي الرومانسي. وهاهو ذا وورفwhorf (1956 : 84) يمتح من هذا التقليد كما يتبين من خلال الفقرة الموالية : " تعدُّ اللغات القليلة نسبياً للثقافات التي بلغت الحضارة المعاصرة أنها ستغزو العالم وتسبب انقراض الآلاف من مختلف الأجناس اللغوية الغريبة، غير أنه من السابق لأوانه الزعم أنها تمثل أي تفوق نمطي ". وفي إطار اتجاه حديث جدا في اللسانيات يُعرف باللسانيات البيئية، تعتبر استعارة الكائن العضوي محايدة للنموذج مرة أخرى وتنصهر في تكيف جديد للنموذج الأحيائي (موهلهاوسلرMuhlhausler 1996).

ومن جديد، من اللازم الإشارة إلى أن المنظور المحايث للنماذج العلمية، قد يكون ذا استلزامات إيديولوجية تتجاوز الخطاب العلمي في صيغته المباشرة. ولقد حلل جيرارتس Geeraerts (2003) هذا البعد بالنظر إلى منظورات المعيرة اللغوية، وهي من المسائل محل سجال سياسي على المستوى العالي. يميز جيرارتس بين "نموذجين ثقافيين" يتضمنان مختلف منظورات المعيرة standardization. ويتعلق الأمر بالنموذج العقلاني، وله جذور في فكر الأنوار. والنموذج الرومانسي المتحذر في التقليد الرومانسي للقرن الثامن والتاسع عشر. يفضل الأساس اللساني والفلسفي للنموذج العقلاني المنظور المؤسس على استعارة "اللغة أداة"، معتبرا اللغات المعيارية والعالمية في إطار هذه الخلفية المعرفية إعلاما محايدا للإشراك المجتمعي وللافتتاح. هكذا يهيمن هذا النموذج بوضوح على السياسة اللغوية الراهنة والماضية. وعلى العكس من ذلك يعتبر النموذج الرومانسي اللغات وسيطا للتعبير عن الهوية (ينظر: كريستيانسن Kristiansen 2003 من أجل مقارنة لسانية معرفية لهذه المسألة). يضع جيرارتس (2003 : 38 - 39) المقاربات النقدية المعاصرة من قبيل حركة "الحقوق اللغوية الإنسانية" في إطار النموذج الرومانسي بمعناه الواسع (ينظر: سكوتناب وكانغاس Skutnabb and Kangas 2000). وفي سياق هذا النموذج ينظر إلى اللغات المعيارية والعالمية باعتبارها أداة للإقصاء الاجتماعي وتهديدا للهويات المحلية (ينظر: جيرارتس 2003 : 40 - 55)، وذلك بالاحتكام إلى منظور "اللغة باعتبارها هوية" وإلى إطار النموذج الأحيائي للغة. ومن زاوية نقدية ينبغي أن تُخضع للفحص الدقيق كل من الأساس العلمي والتأثير السياسي للنموذج. أو كما خلص إلى ذلك جيرارتس (2003 : 27) قائلا : " يمكن للنماذج الثقافية في المجال الاجتماعي، وبما في ذلك العلم أن تكون عبارة عن إيديولوجيات بمعنيين مختلفين: عندما يتم نسيان طابعها المؤمل الضارب في التجريد (وذلك عندما لا نأبه للفرق بين النموذج المجرد والظروف الراهنة)، أو عندما تُوظف بكيفية معيارية وتقريرية وليست بكيفية وصفية (عندما توظف كنماذج لما ينبغي أن تكون عليه الأشياء وليس لما هي عليه)". ومن البدهي، أن نقدا من هذا القبيل هو بدوره ذو صلة بموقعنا العلمي والإيديولوجي. (ينظر: سيلفرستاين Silverstein 1979:193).

6 - خاتمة :

لقد كان المغزى العام لهذا الفصل كامنا في إبراز كيف أن الجهاز النظري الذي تطور في كنف اللسانيات المعرفية يمكن أن يرصد بأناقة التعبير عن الإيديولوجيا في اللغة، وذلك بربط البعد الإيديولوجي

للظاهرة اللغوية بمبادئ تصورية عامة. ومن مظاهر قوة المقاربة اللسانيات المعرفية كونها تجعل من مسألة وصف تلك الظواهر أمرا ممكنا، بالرغم من تنوعها، وذلك بواسطة إطار نظري موحد. وكما بينا في الفقرات السابقة، فإن هذه المقاربة تحلل بشكل واضح العبارات اللغوية في إطار خلفيتها السوسيوثقافية المحيطة، وفي إطار النماذج الخاصة بالمجموعات. وفي هذا السياق اعتبرت الأنماط اللغوية قوية، ولكنها ليست مؤشرا كافيا للكشف عن الأنماط الإيديولوجية، ذلك لأنها تحتاج إلى أن تقرأ بسياق اجتماعي أوسع. وعندما يتم نشدان هذا المطلب بشكل نسقي، من المفروض أن يجعل الالتزام بتحليل اندماجي التحليل النقدي قويا نسبيا ضد كل تأويل مفرط ممكن أو إساءة تأويل للمعطيات اللغوية (ينظر نقد هيتون Hutton 2001).

وبالرغم من كل ما سلف ذكره، يذهب المنظور النقدي أبعد من المستوى الوصفي. ويبدو ذلك جليا في مختلف تطبيقات نظرية الاستعارة التصورية الممثل لها في مختلف فقرات هذا الفصل. ووفاء لفكر لايكوف المقتبسة عبارته في الفقرة التمهيدية بخصوص الاستعمال اللاواعي للاستعارات، يمكن للتحليل اللساني المعرفي أن يسهم في صعود وتنامي الوعي النقدي بكيفيات وطرق الصياغة التصورية لمجالات الخطاب. فعندما نكون واعين بالاستعارات التي نستعملها وبطبيعتها الإيديولوجية، بإمكاننا أن نسعى باستمرار وبشجاعة إلى استجلاء النماذج التي ترصد وتطور منظورات بديلة للميادين الهدف موضوع البحث. هنا بالضبط تمنحنا اللسانيات المعرفية الأدوات التحليلية من أجل تقويم نقدي للإيديولوجيات، وإن كان ذلك ليس من أجل إمدادنا بـ " طرق مثالية" للصياغة التصورية.

- الهوامش:

1) مصدر المقال المترجم:

1. Rene Dirven ; Frank Polzenhagen ; Hans Georg Wolf « Cognitive linguistics ;Ideology and Critical discourse Analysis »; in ; The Oxford handbook of cognitive linguistics ; Edited by Dirk Geeraerts and Hubert Cuyckens ; Oxford university press ; 2007 ; pp1220-1240.
2. البيبليوغرافيا
3. Bakhtin, Mikhail. 1982. The dialogic imagination. Ed. - Michael Holquist. Trans. Caryl
- Emerson and Michael Holquist. Austin: University of Texas Press.

4. -Bakhtin, Mikhail. 1986. Speech genres and other late essays. Ed. Caryl Emerson and Michael
5. -Holquist. Trans. Vern W. McGee. Austin: University of Texas Press.
6. -Black, Max. 1993. More about metaphor. In Andrew Ortony, ed., *Metaphor and thought* 19–42. 2nd ed. Cambridge: Cambridge University Press.
7. -Blommaert, Jan. 2005. *Discourse: A critical introduction*. Cambridge: Cambridge University Press.
8. -Blommaert, Jan, and Chris Bulcaen. 2000. Critical discourse analysis. *Annual Review of Anthropology* 29: 447–66.
9. -Boers, Frank. 1997. ‘No pain, no gain’ in a free market rhetoric: A test for cognitive semantics? *Metaphor and Symbol* 12: 231–41.
10. -rene´ dirven, frank polzenhagen, and hans-georg wolf-
11. Botha, Willem. 2001. The deictic foundation of ideology with reference to African Renaissance. In Rene´ Dirven, Roslyn Frank, and Cornelia Ilie, eds., *Language and ideology*, vol. 2, *Descriptive cognitive approaches* 51–76. Amsterdam: John Benjamins.
12. -Bourdieu, Pierre. 1991. *Language and symbolic power*. Cambridge: Polity Press.
13. -Bowler, Peter J. 1995. Social metaphors in evolutionary biology, 1870–1930: The wider dimension of social Darwinism. In Sabine Maasen, Everett Mendelsohn, and Peter
14. Weingart, eds., *Biology as society, society as biology: Metaphors* 107–26. Dordrecht, Netherlands: Kluwer Academic Publishers.
15. -Caldas-Coulthard, Rosas Carmen, and Malcolm Coulthard, eds. 1996. *Readings in critical discourse analysis*. London: Routledge.
16. -Chilton, Paul. 2005. Missing links in mainstream CDA: Modules, blends and the critical instinct. In Ruth Wodak and -Chilton, eds. *A new agenda in (critical) discourse-*
17. *analysis: Theory, methodology and interdisciplinarity* 19–51. Amsterdam: John Benjamins.
18. -Cubo de Severino, Liliana, Daniel A. Israel, and Victor G. Zonana. 2001. Globalisation for beginners in Argentina: A cognitive approach ; In Rene´ Dirven, Roslyn Frank, and
19. Cornelia Ilie, eds., *Language and ideology*, vol. 2, *Descriptive cognitive approaches* 215–34. Amsterdam: John Benjamins.

- 20.-Davidson, Donald. 1981. What metaphors mean ; In ; Mark Johnson, ed, Philosophical perspectives on metaphor 200–219. Minneapolis: University of Minnesota Press.
- 21.-Dirven, Rene´. 1990. Metaphor and ideology. *Revue Belge de Philologie et d’Histoire* 68: 565–75. (Special issue on ‘La pratique de la metaphore: How to do things with metaphors,’
- 22.ed. Jean-Pierre Van Noppen)
- 23.-Dirven, Rene´. 1994. Metaphor and nation: Metaphors Afrikaners live by. Frankfurt am Main: Peter Lang Verlag.
- 24.-Emmeche, Claus, and Jesper Hoffmeyer. 1991. From language to nature: The semiotic metaphor in biology. *Semiotica* 84: 1–42.
- 25.-Eubanks, Philip. 2000. A war of words in the discourse of trade: The rhetorical constitution of metaphor. Carbondale: Southern Illinois University Press.
- 26.-Fairclough, Norman. 1989. Language and power. London: Longman.
- 27.-Fairclough, Norman. 1992. Discourse and social change. Cambridge: Polity Press.
- 28.-Fairclough, Norman. 1995. Critical discourse analysis. London: Longman.
- 29.-Fairclough, Norman. 2003. Analysing discourse: Textual analysis for social research. London ; Routledge.
- 30.-Fauconnier, Gilles. 1997. Mappings in thought and language. Cambridge: Cambridge University Press.
- 31.-Fowler, Roger, and Gunther R. Kress. 1979. Critical linguistics. In Roger Fowler, Bob Hodge, Gunther Kress, and Tony Trew, eds., *Language and control* 185–213. London:-
- 32.Routledge
- 33.-.Geeraerts, Dirk. 2003. Cultural models of linguistic standardization. In Rene´ Dirven,
- 34.-Roslyn Frank, and Martin Pu´tz, eds., *Cognitive models in language and thought: Ideologies, metaphors, and meanings* 25–68. Berlin: Mouton de Gruyter.
- 35.Peter, and Yan Jiang. 2001. The bare -past as an ideological construction in Grundy.

- 36.-Hong Kong discourse. In Rene´ Dirven, Roslyn Frank, and - Cornelia Ilie, eds., Language and ideology, vol. 2, Descriptive cognitive approaches 117–34. Amsterdam: John Benjamins.
- 37.-Halliday, Michael A. K. 1978. Language as social semiotic: The social interpretation of language and meaning. London: Edward Arnold ; ideology and critical discourse analysis 1237
- 38.Halliday, Michael A. K. 1985. An introduction to functional grammar. London: Arnold. (2nd ed., 1994; 3rd ed., 2004)
- 39.-Haugen, Einar. 1972. The ecology of language. In Anwar S. Oil, ed., The ecology of language: Essays by Einar Haugen 325–39. Stanford, CA: Stanford University Press.
- 40.-Hawkins, Bruce. 1999. Matters of life and death: The role of iconographic reference in the language of oppression. In Jef Verschueren, ed., Language and ideology: Selected papers from the 6th International Pragmatics Conference 206–17. Antwerp, Belgium: International Pragmatics Association.
- 41.-Hawkins, Bruce. 2001. Ideology, metaphor and iconographic reference. In Rene´ Dirven, Roslyn Frank, and Cornelia Ilie, eds., Language and ideology, vol. 2, Descriptive cognitive
- 42.approaches 27–50. Amsterdam: John Benjamins.
- 43.-Hodge, Robert, and Gunther Kress. 1993. Language as ideology. London: Routledge.
- 44.-Howard, Harry. 2001. Age/gender morphemes inherit the biases of their underlying dimensions. In Rene´ Dirven, Bruce -Hawkins, and Esra Sandikcioglu, eds., Language and ideology, vol. 1, Theoretical cognitive approaches 165–95
- 45.Amsterdam: John Benjamins.
- 46.-Hutton, Christopher. 2001. Cultural and conceptual relativism, universalism and the politics of linguistics: Dilemmas of a would-be progressive linguistics. In Rene´ Dirven, Bruce Hawkins, and Esra Sandikcioglu, eds., Language and ideology, vol. 1, Theoretical cognitive approaches 277–96. Amsterdam: John Benjamins.
- 47.-Ilie, Cornelia. 2001. Unparliamentary language: Insults as cognitive forms of ideological confrontation. In Rene´ Dirven, Roslyn Frank, and Cornelia Ilie, eds., Language and ideology, vol. 2, Descriptive cognitive approaches 235–63. Amsterdam: John Benjamins.
- 48.-Ja¨kel, Olaf. 1997. Metaphern in abstrakten Diskursdom¶anen. Frankfurt am Main: Peter Lang Verlag.

- 49.-Koller, Veronika. 2002. "A shotgun wedding": Co- occurrence of war and marriage metaphors in mergers and acquisitions discourse. *Metaphor and Symbol* 17: 50.179–203.
- 51.-Kress, Gunther R. 1989. *Linguistic processes in sociocultural practice*. 2nd ed. Oxford: Oxford University Press.
- 52.-Kristiansen, Gitte. 2003. How to do things with allophones: Linguistic stereotypes as cognitive reference points in social cognition. In Rene´ Dirven, Roslyn Frank, and Martin Pu¨tz, eds., *Cognitive models in language and thought: Ideologies, metaphors, and meanings* 25–68. Berlin: Mouton de Gruyter.
- 53.-Lakoff, George. 1987. *Women, fire, and dangerous things: What categories reveal about the mind*. Chicago: University of Chicago Press.
- 54.-Lakoff, George. 1992. Metaphor and war: The metaphor system used to justify war in the Gulf In Martin Pu¨tz, ed., *Thirty years of linguistic evolution Studies in honor of Ren_e Dirven on the occasion of his sixtieth birthday* 463–81. Amsterdam: John Benjamins.
- 55.-Lakoff, George. 1996. *Moral politics: What conservatives know that liberals don't*. Chicago: University of Chicago Press.
- 56.-Lakoff, George, and Mark Johnson. 1980. *Metaphors we live by*. Chicago: University of Chicago Press.
- 57.-Lakoff, George, and Mark Turner. 1989. *More than cool reason: A field guide to poetic metaphor*. Chicago: University of Chicago Press.
- 58.-Langacker, Ronald W. 1987. *Foundations of cognitive grammar*. Vol. 1, *Theoretical prerequisites*. Stanford, CA: Stanford University Press.
- 59.-Langacker, Ronald W. 1991. *Foundations of cognitive grammar*. Vol. 2, *Descriptive application*. Stanford, CA: Stanford University Press.
- 61.-Lovejoy, Arthur O. [1936] 1960. *The great chain of being: A study of the history of an idea*. New York: Harper and Row.
- 62.-Maasen, Sabine, Everett Mendelsohn, and Peter Weingart, eds. 1995. *Biology as society, society as biology: Metaphors*. Dordrecht, Netherlands: Kluwer Academic Publishers.

- 63.-Maffi, Luisa, ed. 2001. On biocultural diversity: Linking language, knowledge, and the environment. Washington, DC: Smithsonian Institution Press.